جهود نحاة القطر الجزائري في تيسير الدّرس النّحوي من خلال منظومات المقدمة الآجرومية

منظومة الشيخ محمد باي بلعالم -أنموذجا-

أ. محمد أمين مولوج
المركز الجامعي -تيبازة-
الجزائر

mouloudj.dz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2018/03/12 تاريخ القبول 2018/04/26

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى إبراز جهود أحد علماء النحو بالقطر الجزائري ، - وهو الشيخ " محمد باي بلعالم الفلاّني" (ت 1430ه)- في تيسير الدّرس النّحوي وتعليمه من خلال نظمه للمقدمة الآجرومية الموسوم : "اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم" ؛ والذي يقع في : مائتين وبيتين (202) . وتجدر الإشارة إلى أنّ البحث سيحاول أيضا بيان عناية بعض نحاة القطر الجزائري الآخرين بالمقدمة الآجرومية نظما وشرحا ، كما سيتطرق البحث إلى التعريف بشخصية الناظم الشيخ محمد باي بلعالم وبمنظومته ، ثم يختتم البحث ببيان أوجه الحاجة إلى تيسير النحو وإعادة النظر في طريقة تعليمه ، وإبراز أهم مظاهر التّيسير النحوي عند الناظم من خلال منظومته سالفة الذكر.

-

Abstract :

This presentation aims to show the efforts of one of the scholars Algerian grammarians - namely Mohammed El Bey Belalem Fellani (1430hj) to facilitate learning and grammar courses through his treatise entitled "El -Lou'lou El-Mandhoum Nadhm Manthoor Ibn Adjaroum".The poem consists of two hundred to two (202). it must be noted that this presentation will attempt to highlight the care taken by certain Algerian grammarians to the Treaty of El-Adjaroumiya - by poeticization and commentary. the presentation will also touch on the biography of Mohammed Bey Belalem and his treatise on grammar. The conclusion of this presentation will show aspects of the facility needs a grammar course and a challenge of how to teach it, as it will also show the manifestations of ease grammar lessons with Mohammed through Belalem his treatise above.

الكلمات المفتاحية :
الآجرومية ، تيسير النحو ، محمد باي بلعالم ، المنظومات ، الشروح ، اللؤلؤ المنظوم

تقديم:

من المعلوم أنّ ازدهار الدّراسات اللّغوية عند العرب كان بهدف البحث في أسرار اللّغة و معانيها بسبب نشاط حركة البحث في العلوم الدّينية والتي لسنا بحاجة إلى إثبات الصلة الوثيقة بها ؛ وكذا لشعور العامّة والخاصّة بحاجتهم إلى دراسة علوم اللّغة وفي مقدمتها النّحو باعتباره أساسا لفهم الكثير من مسائل هذه العلوم ، ولذلك كان العلماء على مرّ العصور على صلة واضحة بالدِّراسات اللغوية ؛ فكان ذلك سندا ودعما واضحا للعربية وعلومها .

وكذا كان الأمر في العصر المريني –عصر ابن آجروم- الذي نبغ فيه جماعة من العلماء على غرار: ابن البقّال (ت 725ه) ، والسَّلَوِي (ت 685ه) الذي عُني بتدريس كتاب سيبويه في "فاس" ، والجاديري (ت 818ه) ، وابن آجروم (672 – 723 ه) الذي كان أشهرهم وأكثرهم استيعابا لعلوم الشّرع واللّغة .

ويعتبر متن "المقدمة الآجرومية في علم العربية" أهم مؤلّف تركه "أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي" المعروف بابن آجروم ؛ حيث يُعدُّ مقدمة لقواعد النحو العربي ؛ خَصَّ بها مصنفها فئة الناشئة والمبتدئين ، وهي تتميز بوضوح العبارة ، وبساطة الأسلوب ، ووجازة المعاني ودقتها ممّا جعلها تحضى باهتمام كبير لدى المتأخرين في المدارس الحرة -(الكتاتيب ، والمدارس القرآنية والزوايا ، والمحاضر العلمية)- ، والنظامية على حد سواء . وممّا يؤكد ذلك أنّ الآجرومية أصبحت الكتاب المدرسي الأوّل الذي يُقدّم لطالبي العربية المبتدئين في بلاد المغرب -مثلا- كما هو الحال في : "القرويين" ، و "الزيتونة" ، و "الجامع الأخضر" ، و "الأزهر" ؛ وغيرها .

وممّا يؤكد كذلك على القيمة الكبيرة لهذه المقدمة أنها "ترجمت إلى عدّة لغات ؛ كما طُبعت مرات متعددة . فقد طُبعت برعاية "الأب أوبيشني" سنة 1631 م باللغة اللاتينية ، وترجمت إلى الإنجليزية برعاية ج . براون سنة 1831 م ، وطبعت أيضا بالنّجف (العراق) على نفقة الشيخ أحمد العاملي سنة 1962 م ، وبالجزائر سنة 1962 م"[1] .

المبحث الأول : عناية نحاة القطر الجزائري بالمقدمة الآجرومية

تعتبر المقدّمة الآجرومية من أقصر المختصرات الموروثة من التراث العربي الإسلامي ، وأوفرها حظّا من حيث الانتشار ، والتركيز عليها من قبل المعلمين والمتعلمين[2] ؛ بل حتى عند بعض العلماء الغربيين والمستشرقين الذين كان اهتمامهم منصبّا على بحث أوضاع هذه اللّغة وخصائصها النّحوية [3] .

أمّا في الجزائر ؛ فقد كانت المقدّمة الآجرومية "ملح الطعام عند مدرسي وطلاّب الجزائر"[4] على حدِّ تعبير أحد الباحثين ، وكان اهتمامهم واشتغالهم بها منقطع النّظير ، وليس أدلّ على ذلك من كثرة المؤلفات الجزائرية التي عُنيت بها إمّا شرحا أو نظما ، أو تحشية أو غير ذلك .

وسأحاول في هذا المبحث جمع ما تيسر الوقوف عليه من الشّروح والمنظومات التي ألفها النّحاة أو العلماء الجزائريون على هذه المقدمة :

أولا : الشّروح

اهتم علماء ونحاة الجزائر بشرح المتون النحوية كعادة العلماء في كل قطر ، وكان متن المقدمة الآجرومية هو الأوفر حظا –كما أسلفنا- . ومن العلماء الجزائريين الذين عُنوا بشرح المقدمة الآجرومية ممّن وقفنا على تآليفهم نذكر:

1- الشريف التلمساني (ت 771ه) : في كتابه الموسوم :"الدرّة النّحوية على شرح الآجرومية "[5] .
2- شهاب الدّين أحمد بن أحمد البجائي (ت 873ه) : في كتابه "شرح الآجرومية"[6] .
3- محمد بن محمد بن علي الصبّاغ (ت 936ه) : وقد شرح الآج رومية في كتاب سمّاه : "الدرّة الصباغية في شرح الآجرومية" [7] .
4- أحمد بن آقد الصنهاجي (963ه) : في كتابه : "الفتوح القيومية في شرح الآجرومية"[8] .
5– أبو سليمان داود بن ابراهيم التلاتي (ت 967ه) : في كتابه : "شرح المقدمة الآجرومية"[9] .
6- عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكّون (ت 988ه) : في كتابه الموسوم :"فتح المولى بشواهد ابن بعلى"[10] .
7- أبو الحسن علي بن عبد الواحد بن السراج الأنصاري المالكي السجلماسي ثم الجزائري (1057ه) : في كتابه : "شرح الآجرومية"[11] .
8 - أبو القاسم بن يحيى بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي (ت 1102ه) : في كتابه : "شرح الآجرومية"[12] .
9- محمد الصالح بن سليمان الرّحموني (ت 1242ه): في شرحه المسمى :"الدّليل على الآجرومية"[13] .
10- أحمد الطّيب بن محمد الصّالح بن سليمان العيساوي الزّواوي (ت 1252ه): في شرحه المسمّى : "مفيد الطلبة"[14] .
11- امحمّد بن يوسف أطفيش (ت 1214ه) : في كتابه الموسوم : "المسائل التّحقيقية في بيان التّحفة الآجرومية"[15] .
12- محمّد بن بادي الكنتي (ت 1388ه) : في كتابه الموسوم "مقدّم العيّ المصروم على نظم ابن أبّ لآجروم"[16] .
13- محمد بن أحمد المكنّى بابن شعيب : في كتابه الموسوم :"حقائق على الآجرومية"[17] .

14- أبو القاسم بن محمد البجائي (ت ؟) : شرح ألفاظ الآجرومية[18] .

15- صالح بن موفّق بن قويدر القسنطيني (ت ؟) : شرح الآجرومية[19] .

16- محمد باي بلعالم الفلاّني (ت 1430ه) : له ثلاثة شروح على الآجرومية ، وهي[20] :

- الرحيق المختوم على نظم نظم نزهة الحُلوم : وهو شرح وضعه على نظم نزهة الحُلوم للشيخ محمد بن أبّ المزمري .
- عون القيوم على كشف الغموم : وهو شرح على نظم كشف الغُموم لابن أبّ أيضا .
- كفاية المَنهُوم شرح اللؤلؤ المنظوم : وهو الشرح الذي وضعه على منظومته التي نحن بصدد دراستها .

ثانيا : المنظومات

من المنظومات الجزائرية للمقدمة الآجرومية التي وقفت عليها ما يأتي :

1 – نظم مقدّمة ابن آجروم لمحمد بن أبُّ المزمري (ت 1160ه) . ومطلعها[21] :

قال ابن أبّ واسمهُ محمدُ الله َ في كلّ الأمور أحمدُ

2 – كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم : وهي منظومة أخرى لمحمد بن أبّ المزمري . ومطلعها[22] :

لك الحمدُ يا اللهُ يا من تفضّلا ومنَّ علينا بالبيان وأجملا

3 – نُزهة الحُلوم في نظم منثور ابن آجروم : وهي منظومة ثالثة للشيخ النحوي محمد بن أبّ المزمري . ومطلعها[23] :

نحمدك اللهم يا من أنعما وعلّم الإنسان ما لم يعلما

4 – اللامية في نظم الآجرومية لخليفة بن حسن القماري (1211ه)[24] .

5 – نظم متن الآجرومية لمحمد بن سليمان بن إدريسو الإباضي الجزائري (ت 1298ه)[25] .

6 –نظم الآجرومية لعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد العزيز ضياء الدين الثميني (ت 1223ه)[26] .

7 – نظم الآجرومية لأحمد بن قاسم بن محمد بن ساسي التميمي أبي العباس البوني (ت 1139ه)[27] .

8 – نظم آجرومية الصنهاجي لابن ناجي غويني بن الحاج المسعود المسعدي (ت ؟)[28] .

9 – اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم للشيخ محمد باي بلعالم[29] . وهي المنظومة التي نحن بصدد دراستها في هذا البحث .

المبحث الثاني : محمد باي بلعالم ومنظومته على المقدمة الآجرومية

سأحاول من خلال هذا المبحث التّعريف بالنّاظم الشّيخ : محمّد باي بلعالم باعتباره أحد أعلام القطر الجزائري الذين أولوا عناية خاصة بالمقدمة الآجرومية ؛ من خلال تعدد مؤلفاته التي تناولتها إمّا نظما أو شرحا – كما أسلفنا- ، كما سأعرف بالمنظومة وأصفها وصفا مجملا .

أولا : التعريف بالناظم

1- اسمه ونسبه :

هو الشّيخ باي بلعالم بن محمّد عبد القادر بن محمّد بن المختار بن أحمد العالم القبلوي الجزائري الشّهير بالشّيخ باي ، ويعود نسبه إلى قبيلة فلّان ، والتي تضاربت حولها الأقوال واختلفت فيها الآراء والشّهير أنّ أصولها تعود إلى قبيلة حمير القبيلة العربية الشّهيرة باليمن[30] . ولد الشّيخ سنة 1930 م في قرية ساهل من بلدية أَقِبْلِي بدائرة "أوْلَفْ " ولاية أدرار [31]. والده هو محمّد عبد القادر كان فقيها وإماما ومعلِّما ، له تصانيف منها :"تحفة الولدان فيما يجب على الأعيان" منظومة "الولدان في طلب الدعاء من الرحمن" . منظومة "حال أهل الوقت" . وأمّه هي خديجة بنت محمّد الحسن كان والدها عالما قاضيا في منطقة تيديكلت .

2- نشأته وتعليمه ورحلاته :

تربّى الشّيخ في أسرة اشتهرت بالعلم والمعرفة ، حرصت على تعليمه وتربيته ، فبدأ تعليمه في مسقط رأسه في مدينة ساهل أقبلي ، هذه القرية التي كانت تُعدّ منارة للعلم والمعرفة والتي تخرّج منها العديد من العلماء والفقهاء .ودرس القرآن الكريم في مدرسة ساهل أقبلي على يد المقرئ الشّيخ محمّد بن عبد الرحمن بن المكّي بن العالم ، ثم قرأ على يد والده المبادئ النّحوية والفقهية ، ودرس على يد الشّيخ محمد عبد الكريم المغيلي مدّة من الزّمن ، ثمّ انتقل إلى زاوية الشّيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السّباعي ، بمرّاكش، ومكث فيها سبع سنوات ، قرأ فيها الفقه المالكي وأصوله ، والنحو ، والفرائض ، والحديث ، والتفسير . وخلال مرحلة دراسته تحصّل على عدد من الإجازات . بعد أن تخرّج الشّيخ من الزّاوية المذكورة آنفا انتقل إلى مدينة أولف حيث قام بتأسيس مدرسة للعلوم الشّرعية تعنى بتدريس الطلاب والطالبات الأمور الدينية واللّغوية حيث دفعته الغيرة الدينية لنشر العلم بين أهل بلده إبان الاستعمار الفرنسي ، فأسس مدرسة شرعية أسماها "مدرسة مصعب بن عمير الدينية" ، والتي لا زالت إلى يومنا هذا .

ولمّا تغلغلت الثّورة في الجزائر واستحكمت قرّر إغلاق المدرسة مؤقتا خوفا على طلبته من المعارك التي كانت تدور آنذاك ، ولمّا حصل الشّعب الجزائري على حريته ونالت الدولة استقلالها واستتبّ الأمن أعاد فتح المدرسة من جديد لتستقبل الطلاب بأعداد كبيرة وأضاف إليها قسما داخليا جديدا . وفي سنة 1964م التحق بوزارة الشؤون الدينية فأصبح إماما وخطيبا ومفتيا ومدرّسا لمسجد أنس بن مالك ومدرسة مصعب بن عمير الدينية . وفي عام 1971 م شارك في مسابقة وزارة الأوقاف التي أجرتها لمجموعة من المشايخ لتحديد مستواهم العلمي ، فتحصّل على شهادة تعادل الليسانس في العلوم الإسلامية ، وفي عام 1981م قام بتوسيع مدرسته وأضاف إليها قسما جديدا خاصّا بالإناث ، فأصبحت تستقبل أعدادا كبيرة من الفتيات على غرار ما تستقبله من الفتيان ، وقام بتوسيع الأقسام الداخلية بحيث أصبحت تستوعب طلابا من خارج البلاد . سافر الشّيخ رحمه الله إلى عدّة بلدان في

داخل الوطن و خارجه ، وكانت له في جميع رحلاته لقاءات مع العلماء وطلبة العلم ، مفيدا ومستفيدا ، فزار: تونس والمغرب الأقصى وليبيا والمملكة العربية السعودية ، حيث كانت أول زيارة له إلى المملكة العربية السعودية من أجل أداء فريضة الحجّ سنة 1964م ، ليعود إليها سنة 1974م للمرة الثانية ، ومنذ ذلك العام لم يتخلّف عن أداء هذه الفريضة ، فله أكثر من 30 حجّة . وكان رحمه الله في الحجّ يعقد الجلسات العلمية في الحرم المكي في السّطح غالبا ، وفي المخيم في "منى" ويجتمع عليه طلبة العلم ، وكثير من المحبين له . وقد دوّن الشيخ رحمه الله رحلاته في كتابه " الرحلة العليّة " جمع فيه أخبار هذه الرّحلات وأحوال المناطق التي زارها[32] .

3- آثاره ومؤلفاته :

تجاوزت مؤلفاته الثلاثين مؤلّفا في الفقه والأصول والنّحو واللغة وعلوم أخرى ؛ ومن هذه المؤلفات[33] شرح على نظم خليل للشيخ خليفة بن حسن السوفي القماري ، والذي نظمه في ما يقرب من عشرة آلاف بيت ، شرحه الشيخ بلعالم رحمه الله في عشرة أسفار سماه : "مرجع الفروع للتأصيل من الكتاب والسنة والإجماع الكفيل شرح نظم الشيخ خليفة بن حسن السوفي على مختصر خليل" وهو تحت الطّبع بدار الفكر.

1- " إقامة الحجّة بالدّليل شرح على نظم بن بادي على مهمّات خليل" في (أربعة أجزاء) طبع بدار ابن حزم .

2- "ملتقى الأدلّة الموضح للسّالك على فتح الرحيم المالك " في (أربعة أجزاء) وهو شرح على منظومته (فتح الرّحيم المالك في فقه الإمام مالك) والتي تشتمل على(2509) بيتا .

3- " الإشراق البدري على الكوكب الزهري لنظم المختصر الأخضري". وهو شرح على نظم الأخضري وكلاهما للشيخ رحمه الله .

4- "المباحث الفكريّة على الأرجوزة البكرية .

5- " زاد السالك على أسهل المسالك" (في مجلدين) .

6- "السفر القاطع والردّ الرادع لمن أجاز بالقروض المنافع" . وهو رد على من أفتى بجواز المعاملة مع البنوك الربويّة .

7- " السبائك الإبريزية على الجواهر الكنزية" ، وهو شرح على نظم المقدّمة العزيّة في الفقه المالكي .

8- " الاستدلال بالكتاب والسنّة النبويّة على نثر ونظم العزيّة .

10- كشف الجلباب عن جوهرة الطلاب في علمي الفروض والحساب" (شرح على نظم الشيخ عبد الرحمن السكوتي في الفرائض) .

11-"كشف الدِّثار على تحفة الآثار" (في مصطلح الحديث) .

12- "ضياء المعالم على ألفية الغريب لابن عالم" وهو شرح على ألفية الشيخ بلعالم الزجلاوي في غريب القرآن (في مجلدين) .

13-المفتاح النوراني" شرح فيه نظم الشيخ الطاهر التليلي السوفي في غريب القرآن .

14- الدرّة السنية في علم ما ترثه البرية"(نظم) .

15-"الأصداف اليمية شرح الدرة السنية" .

16- فواكه الخريف شرح بغية الشريف في علم الفرائض المنيف" .

17- ركائز الوصول على منظومة العمريطي في علم الأصول" .

18- مُيَسِّر الحصول على شرح سفينة الأصول" .

19- فتح المجيب على سيرة النّبيّ الحبيب" .

20- اللؤلؤ المنظوم على نثر ابن آجروم" .

21- الرحلة العليّة " إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات (في جزأين) ذكر فيها رحلاته التي تزيد عن عشرين رحلة للحجّ والعمرة ، ورحلته إلى المغرب الأقصى .

22- قبيلة فلان في الماضي الحاضر وما لها من العلوم والمعرفة والمآثر" .

23- " منحة الأتراب على ملحة الإعراب" .

24- "الغصن الدّاني في حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني" .

25- " محاضرة عنوانها كيفية التعليم القرآني والفقهي في منطقة توات" .

26- "محاضرة عنوانها الرسول المعلم" .

27- "انقشاع الغمامة والإلباس عن حكم العمامة واللباس من خلال سؤال سعيد هرماس"

28- "قصيدتان في الرد على ألغاز بعث له بها الشيخ مولاي أحمد الطاهري السباعي"

29- "قصيدتان في رثاء الشيخ مولاي أحمد الطاهري السباعي".

30- "مرثية الشّيخ مولاي محمّد الرقاني الفقيه".

31- "مرثية الشيخ الطالب الزاوي".

وفاته :

توفى الشيخ محمد باي بلعالم رحمه الله تعالى يوم الأحد 23 ربيع الثاني 1430 هـ الموافق ل :19 أفريل 2009 م[34].

ثانيا : التعريف بالمنظومة

تقع هذه المنظومة في مائتين وبيتين ؛ وبذلك تعتبر من المنظومات متوسطة الطّول ، وقد سماها مصنفها : **اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم** . ويقول في مطلعها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله :

الحمد لله الـذي قـد فَتَحَـا أبواب فيضه لمن لـه نحـا

صلّى وسلّم على من خفضا بالجزم مَن عن ربّه قد أعرضا

محمّد من نـورُهُ قـد ارتفع وعَمَّ كـلَّ العـالـمين إذ طلع

إلى أن قال :

وبعـدُ إنّ اللّـحنَ داءٌ مزمـنُ مـؤثرٌ تئـنُّ منـهُ الألسُـنُ

لذاك قد أدّى بيَ الفهم الضعيفْ لنَشْإ أبياتٍ في ذا الفنِّ المنيفْ

سمّيته باللؤلـؤ المنظـوم في نظـم منثور ابــن آجروم

وقد كان تأليف هذه المنظومة في شهر ربيع الأول سنة : 1407 هـ أي سنة : 1986 م (تقريبا) ؛ ولذلك يقول في ختام هذه المنظومة :

قد انتهى ونسألُ الله العظيمْ أن يجعلَ العملَ للوجهِ الكريمْ

سَنَـةَ ألفٍ مـعَ أربعٍ مِئينْ وسبعةٍ لهجرة الهـادي الأمينْ

في شهرِ مولدِ النَّبيِّ المُصطفى صلَّــى عليه ربُّنا وشرّفا

والآل والصحب كـواكب الظلامْ والحمد لله بها مسْكُ الختامْ

والقارئ لهذه المنظومة يلاحظ من دون أدنى مشقة مدى سلاسة النّظم وسهولته ، وتَحَكُّمِ صاحبه في أدوات هذا الفنّ ، كما لا يبذل كثير جهد في فهم ألفاظها ؛ إذ إنّ النّاظم رحمه الله قد اختار ألفاظها بعناية فائقة ، فلا تكاد تجد فيها ما يحتاج إلى شرح ، وذلك أنها مُوجّهة لتعليم المبتدئين كما لا يخفى .

وقد طبعت هذه المنظومة بدار ابن حزم ببيروت في كتاب ضمّ منظومتين أخريين للمؤلف و هما : منظومة "الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري" في الفقه المالكي ، و "الدرّة السنيّة" وهي منظومة في علم الفرائض . كما وضع المؤلف الشيخ باي رحمه الله شرحا على هذه المنظومة وهو مطبوع ؛ طبعته مطبعة عمار قرفي بمدينة باتنة .

وقد حافظ النّاظم على نفس التبويب الذي بوّب به ابن آجروم مقدمته تقريبا ؛ فهي مقسمة إلى :

- **مدخل** : بدأه الناظم بالبسملة والصّلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثمّ ذكر سبب تأليف هذه المنظومة ، وذِكرِ اسمها ، وختمه بسؤال الله القبول .

- **مقدمة** : ذكر فيها الكلام وأقسامه ، وعلامات كلّ قسم .

- **باب الإعراب ومعرفة علاماته** : عرف فيه الإعراب وأنواعه ، وعلاماته .

- **باب الأفعال** : ذكر فيه الفعل وأقسامه الثلاثة ، واختلافه من حيث البناء والإعراب .

- **باب مرفوعات الأسماء** : ذكر تحته سبعة أبواب ؛ وهي : باب الفاعل ، باب النائب عن الفاعل ، باب نواسخ الابتداء (وهي كان وأخواتها ، وإنّ وأخواتها وظنّ وأخواتها) ، باب النّعت ، باب العطف ، باب التّوكيد ، باب البدل .

- ثم ذكر المنصوبات متفرقة ؛ وهي : باب المفعول به ، باب المصدر ، باب الظّرف ، باب الحال ، باب التّمييز ، باب الاستثناء ، باب لا التي لنفي الجنس ، باب المنادى ، باب المفعول من أجله ،

- **باب مخفوضات الأسماء** : ذكر فيه المخفوض بالحرف ، والمخفوض بالإضافة ، وزاد المخفوض بالمجاورة . ثم ختم المنظومة بالدّعاء وذكر تاريخ تأليف المنظومة .

المبحث الثالث : من مظاهر التيسير النّحوي في منظومة الشيخ محمد باي بلعالم

أولا : الحاجة إلى تيسير النحو

إنّ فكرة المطالبة بتيسير الدّرس النّحوي ليست وليدة العصر الحالي ؛ بل ترجع جذورها إلى بداية ظهور المختصرات على غرار "مقدمة خلف الأحمر (ت 180ه)" ، مختصر الكسائي للكسائي (ت 189ه) ، و كتاب "مختصر في النّحو" لأبي محمد اليزيدي (ت 202ه) ، و "الموجز" لابن السرّاج (ت 316ه) ، و "الجمل" للزجاجي (ت 337ه) ، و "الأنموذج في النّحو" للزمخشري (ت 538ه) ، ثمّ توالت المختصرات بعد ذلك ، وتبعتها المنظومات التّعليمية المعروفة كألفية "ابن معطي" (ت 628ه) ، و ألفية "ابن مالك" (ت 672ه) ، وغيرهما . غير أنّ هذه الفكرة بدأت تتبلور وتتّضح مع الثّورة التي أطلقها "ابن مضاء القرطبي" (ت 592ه) في كتابه "الردّ على النّحاة" الذي عاتب فيه النّحاة على تعقيدهم الدّرس النحوي ودعا إلى إلغاء القياس ، والعامل والعلل القياسية والجدلية ، وغير ذلك ممّا رآه سببا في تعقيد الدّرس النّحوي . ويمكن القول أنّه منذ ذلك الوقت أصبح بإمكاننا التمييز بين توجهين متمايزين في الدّرس النّحوي العربي ؛ وهما :

- توجُّه كلاسيكي محافظ يدعو إلى ضرورة الالتزام بالتراث النّحوي الذي تركه النّحاة الأوائل ، وعدم الخروج عليه وتقديسه ، وإلزاميته .
- توجّه تجديدي يدعو إلى ضرورة تبسيط التنظير النّحوي وتيسيره بكيفية تجعله في متناول المتعلّم العربي ، وغير العربي الممارس للّسان العربي .

وتجدر الإشارة إلى "أنّ النّحاة المحدثين لم يتحرّروا إلى اليوم من هذا التّقليد ؛ حيث مازلنا نلاحظ أنّ كتب النحو لا تزال محشوّة بمصطلحات لا صلة لها بالواقع اللّغوي ، ومن ثمّة لا يمكن أن تحقّق أغراضها التعليمية المنشودة"[35] .

وقد كان هذا النّفور بسبب المصطلحات الدّخيلة التي أقحمها النّحاة في الدّرس النّحوي معروفا حتّى في البيئة العربية القديمة ؛ إذ إنّنا نجد في التّراث العربي بعض الشّهادات التي تؤيّد ذلك ، فقد وقف أعرابي في مجلس الأخفش ؛ فسمع كلام أهله في النّحو وما يدخل معه فحار وعجب وأطرق . فقال له الأخفش : ما تسمع يا أخا العرب ، قال : أراكم تتكلّمون بكلامنا في كلامنا بما ليس من كلامنا[36] .

وهكذا استمرت فكرة المطالبة بتيسير الدّرس النّحوي عند المحدثين ؛ حيث تمثلت في بعض المؤلفات التي دعت إلى تجديد النحو وتعديله وعصرنته وتيسيره وتقديم اقتراحات في هذا الشأن كمؤلفات : أمين الخولي ، و أنيس فريحة ، إبراهيم مصطفى ، مهدي المخزومي ، شوقي ضيف ، وغيرهم

وبعد هذه المقدمة التي تؤكّد شدّة الحاجة إلى تيسير الدرس النحوي فإنّني سأعرض بإيجاز بعض الأسباب التي ساهمت في تعقيد الدرس النحوي ، و ظلت عائقا عند طالبيه ، والتي يمكن إجمالها فيما يأتي[37] :

- تقديس النحاة الأوائل ومؤلفاتهم ، والانبهار بها ؛ حتى قيل : إنّ من أراد أن يؤلف كتابا في النّحو بعد كتاب سيبويه فليَستحِ .

- عدم التفريق بين النّحو والقواعد والإعراب : فالنحو قياس على المسموع ومجاله واسع جدا وهو البحث عن العلو ، وإعمال الفكر في ذلك ... ، وأما القاعدة فهي رصد كلام العرب وصوغ أحكام النّحو في قوانين لا جدال فيها ؛ مثل : رفع الفاعل والمبتدإ ونصب المفعول ...

- التوسّع في الخلافات والجوازات وكثرتها حتى لا تكاد ترى بابا من أبواب النحو أو مسألة من مسائله إلا وذُكر فيها خلاف بين النّحاة .

- المبالغة في التّعليل النحوي وما نتج عنه من مبالغات ، وتعسّف يأباه المنطق ؛ كل ذلك ساهم في تشعّب المسائل وكثرتها .

- كثرة الضّرورات النحوية والتّساهل فيها .

- عدم التفريق بين النّحو التّخصّصي الذي يستعمل في البحث عن الخصائص اللغوية والغوص في أعماق النحو ، وبين النحو التربوي التّعليمي .

ثانيا : التيسير النحوي في منظومة محمد باي بلعالم وأهم مظاهره

إنّ أوّل ما يلفت انتباه القارئ لهذه المنظومة سلاستها العجيبة ؛ إذ يستطيع كل قارئ تقريبا قراءتها بسهولة دون الحاجة إلى معرفة قواعد العروض والقافية ، وهي مَزِيَّةٌ تُحسبُ لهذه المنظومة ولصاحبها ، ومما يلفت الانتباه أيضا في هذه المنظومة ؛ سهولة ألفاظها وبساطة مصطلحاتها فلا يحتاج القارئ لها شرحا ولا توضيحا كونها مألوفة معروفة عند عامّة المتعلمين .

ومن مظاهر التيسير النّحوي التي يمكن تسجيلها في هذه المنظومة ؛ ما يأتي :

1- **الاقتصار على بعض الأبواب النحوية :**

وهي في الحقيقة أهم الأبواب إذ إنّها تشتمل على أهمّ القواعد النّحوية التداولية الخاصّة بلغة الاستعمال ، فهي عبارة عن نحو تربوي وظيفي يحتاجه المتعلم المبتدئ ، والسائر المتخصص في هذا العلم ، والعامّي العربي المتكلم بهذا اللسان أصالة ، أو غير العربي الممارس للسان العربي بالتعلّم وليس بالسّليقة على السواء ؛ وهذه غاية لطالما افتقدناها في كتب النّحو التي ملئت بالمفاهيم الفلسفية المجرّدة والمصطلحات الغريبة التي لا صلة لها بالواقع اللّغوي .

2- **الاختصار في التعريفات واستعمال الكلمات السّهلة المتداولة بين المتعلمين :**

فلو ذهبت تَتَبَّعُ التعريفات التي قدّمها النّاظم لأهم المصطلحات النّحوية الواردة في هذا النظم لَوَجدتها لا تتجاوز البيت الواحد للمصطلح الواحد ؛ كما هو الحال بالنسبة لـ : تعريف الفاعل ، تعريف النائب عن الفاعل ، تعريف المبتدإ ، تعريف الخبر ، تعريف العطف ، تعريف التوكيد ،

تعريف المصدر، تعريف التمييز[38] ...، كما أن الألفاظ التي اختارها الناظم في هذه التعريفات هي ألفاظ سهلة مألوفة ومناسبة لمستوى المتعلم المبتدئ .

3- **عدم التطرق للخلاف :**

وذلك في مسائل كثيرة كعدم التطرّق للخلاف في علة إعراب الفعل المضارع ، وإعراب الأسماء الستة ، والمثنى والجمع وغيرها من المسائل التي يُعتبر الخلاف فيها مشهورا .

4-**ذكر الراجح عنده دون التقيد بأحد المذاهب النّحوية ، مع مراعاة اختيار الأيسر على المتعلمين** :

قال في بيان علّة الرفع في الفعل المضارع :

وحكمهُ الرفعُ إذا تجرّدا عن ناصبٍ أو جازمٍ في الابتدا

وهو مذهب أكثر الكوفيين ، وذهب البصريون إلى أنّه يرتفع لقيامه مقام الاسم[39] . فاختار الناظم مذهب الكوفيين ، ويختار مذهب البصريين أحيانا ؛ كقوله في رافع المبتدإ :

المبتدا الاسمُ الذي قدْ جُرِّدا عن عاملِ اللّفظِ ورفعه بدا

فذهب إلى أنّ المبتدأ مرفوع لتجرّده من العوامل اللفظية ؛ أي أن العامل فيه عامل معنوي وهو الابتداء كما صرّح بذلك في الشرح[40] ، وهو مذهب البصريين . وذهب الكوفيون إلى أنّهما مترافعان[41] .

ولم يشر إلى وجود خلاف في المسألتين تيسيرا على المتعلمين .

5- **الميل نحو اختصار المسائل والبعد عن التفريعات :**

من ذلك مثلا : عدم تطرّقه لبعض المسائل في باب المبتدإ والخبر ؛ كتأخير المبتدإ وتقديم الخبر، وتقدّم معمول كان وأخواتها ، وإنّ وأخواتها عليها . والترتيب في عناصر الجملة الفعلية (تقدّم المفعول به على الفعل والفاعل معا أو على الفاعل فقط) . واجتزاء بعض الأبواب ؛ كعدم التطرّق لأحكام فعل الأمر عند الكلام على باب الأفعال ، وترك الكلام على عطف البيان عند الحديث عن التوابع ، وكذا عدم التطرّق للأفعال المتعدّية إلى مفعولين أو ثلاثة في باب المفعول به . كل ذلك قصد تسهيل ضبط هذه المسائل على المتعلم ، وحتى لا يتشوّش ذهنه بكثرة المسائل والتفريعات .

6- ذكر العدد تسهيلا للحفظ وضبط المسائل :

وذلك في عدّة مواضع ؛ مثل : قوله في حدّ الكلام عند أهل النحو :

أقسامهُ ثلاثةٌ لا رابعا لها بإجماع النحاة فاسمعا

وقوله في أقسام الإعراب ، وما يختصّ بالاسم منها :

رفعٌ ونصبٌ ثمّ خفضٌ جزمُ أقسامهُ أربعةٌ فالاسمُ

قد خُصَّ بالثلاث ....

وفي باب الأفعال قوله :

الافعال عدُّها ثلاثةٌ أتتْ ماضٍ مضارع وأمر قد أتت

وقال في باب مرفوعات الأسماء :

بابٌ وسبعةٌ لها الرّفعُ وجبْ من الأسامي عند جملة العربْ

وعند الحديث عن أخوات كان قوله :

وكان معْ أمثالها قد انحصرْ عددُها إلى ثلاثة عشرْ

7- **كثرة التمثيل والاعتماد على أمثلة قريبة من واقع المتعلمين :**

فالملاحظ على الأمثلة التي اختارها النّاظم أنّها بلغة بسيطة وفي متناول المتعلمين المبتدئين ؛ كما أنّها قريبة من واقع المتعلمين ، فمنها ما هو ذو طابع ديني إسلامي ؛ كأن يكون مقتبسا من القرآن الكريم أو من السنّة النبوية الشريفة كقوله عند الحديث عن الأفعال الخمسة :

كيفعلان تفعلون تفعلين وجاء في التنزيل ماذا تأمرين

وفي باب المبتدإ والخبر قوله :

فجُملةٌ كقل هو اللهُ أحد ومثله زيدٌ أتى يوم الأحد

وقوله في باب النائب عن الفاعل :

ومُضمراً نحوُ نُصرتُ بالصَّبا وهْوَ حديثٌ للصحيح نُسِبا

ومنها ما يحثّ على التّعاليم والأخلاق الإسلامية ؛ كقوله :

نحوُ رأيت المومنين في البلادْ يؤيدون العمرين في الجهادْ

وقوله أيضا :

مثالهُ لن تدركوا الكمالا حتى تكونوا للتُّقى مثالا

وقوله :

تقولُ إنْ تقُمْ نقمْ ونحوُ ما تفعلْ من الخيرِ تجِدْهُ مغنما

ومنها الأمثلة الإنشائية البسيطة ؛ وهي كثيرة كقوله :

الماء في البستان ، المال عند التاجر المنّان ، كان عدلاً عمرُ ، مادمتُ صحيحاً سأزور العلما ، ظننتُ زيداً صادقاً ، جاء زيدٌ الأديب ، أكلتُ الشاةَ حتى رأسَها ، وصل الحجّاجُ كلُّهم مِنَى ... ، وغيرها كثير .

خاتمة :

في خاتمة هذا البحث أودّ أن أسجل أهمّ النتائج التي خلص إليها البحث ؛ والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية :

- كان للنّحاة الجزائريين جهود مميزة في تيسير الدرس النّحوي العربي تجلّت في عنايتهم الكبيرة بالمقدمة الآجرومية .
- تعتبر المقدمة الأجرومية نفسها مثالا واضحا على ميل الجزائريين للتيسير النّحوي وبعدهم عن التّعقيد .
- تنوع المؤلفات الجزائرية التي عُنيت بالمقدمة الآجرومية ؛ فهناك : الشروح ، المنظومات ، الحواشي .
- تعدُّدُ المؤلفات على الآجرومية لمؤلّف واحد يؤكّد مكانة الآجرومية وأهميتها عند الجزائرين .

- يعدّ الشيخ محمد باي بلعالم من النّحاة الجزائريين الذين ساهموا في تيسير الدّرس النحوي من خلال مؤلفاته النّحوية العديدة وخاصّة منظومته على الآجرومية : الدرّ المنثور في نظم منثور ابن آجرّوم .
- من مظاهر التّيسير النّحوي في منظومة الشّيخ محمد باي بلعالم :

- الاقتصار على أهم الأبواب النّحوية والتي تمثل النّحو التربوي الوظيفي .
- الاختصار في العريفات واستعمال الألفاظ السّهلة المألوفة عند المتعلمين .
- عدم التّطرق للخلاف ومراعاة اختيار الأيسر على المتعلمين .
- الميل إلى اختصار المسائل والبعد عن التّفريعات .
- ذكر العدد في كثير من المسائل تسهيلا للحفظ والضّبط .
- كثرة التّمثيل واعتماد أمثلة قريبة من واقع المتعلمين .

الهوامش

1) ينظر: بوقرة نعمان . قراءات تمهيدية في تيسير تعليم النحو عند المغاربة والأندلسيين : أعمال ندوة تيسير النحو ، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية ، الجزائر ، 2001 م ، ص : 155-156 .

2) خالد الأزهري . بشرى طلاب العربية بإعراب الآجرومية ، تح : عبد الرحمن المعلمي ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1 ، 1427هـ/ 2006م ، ص : 13 .

) ضيف ، شوقي . تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا ، دار المعارف ، ط : 02 ، ص : 16 . [3]

) أبو القاسم ، سعد الله . تاريخ الجزائر الثقافي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط: 01، 1998م ، ج1 ، ص : 162 . [4]

5) الشريف ، التلمساني . الدرة النحوية على شرح الآجرومية ، تح : عبد القادر ياشي ، إشراف : المختار بوعنابي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة وهران -السانية- ، 2010م .

6) البوعنابي ، سعاد آمنة . شرح الآجرومية للبجائي ، إشراف : بكري عبد الكريم ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة وهران -السانية- ، 1998م .

7) الصباغ ، محمد بن محمد بن علي . الدرة الصباغية في شرح الآجرومية ، تح : عطية هزرشي ، إشراف : الشريف مريبعي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الجزائر ، 2006/2005م .

8) الصنهاجي ، أحمد بن آقد ، الفتوح القيومية في شرح الآجرومية ، تح : محمد بن شماني ، إشراف : أحمد عزوز ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الشلف ، 2009/2008م .

9) التلاتي ، أبو سليمان داود بن إبراهيم . شرح المقدمة الآجرومية ، تح : التجاني بن ميلود ، إشراف : أحمد بلخضر ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة ورقلة ، 2011/2010م .

) تاريخ الجزائر الثقافي : 160/2 . [10]

11) البغدادي ، إسماعيل باشا . هداية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، دار الكتب العلمية ، د ط ، د ت ، مج : 01 ، ص : 765 .

12) أبو القاسم بن يحيى بن أبي القاسم الغرداوي المصعبي . شرح الآجرمية : تح : يوسف خنفر ، إشراف : أحمد جلايلي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة ورقلة ، 2010م .

) نويهض عادل. معجم أعلام الجزائر ، المكتبة التجارية للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1 ، 1971م ، ص : 152 . [13]

) نفسه : ص : 24 . [14]

15) أطفيش ، امحمد بن يوسف . المسائل التحقيقية في بيان التحفة الآجرومية ، تح : رشيد حيدرة ، إشراف : المختار بوعنابي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة وهران ، 2013/2012م .

16) الكنتي ، محمد بن بادي . مقدّم العي المصروم على نظم ابن أب لآجروم ، تح : الصديق حاج محمد ، إشراف : الشريف مريبعي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة الجزائر ، 2005/2004م .

17) ابن شعيب ، محمد بن أحمد . حقائق على الآجرومية ، تح : علي بوشاقور ، إشراف : المختار بوعنابي ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، جامعة وهران -السانية- ، 2003/2002م .

) هداية العارفين ، ج2 ، ص : 203 . [18]

19) ضيف ، بشير . فهرست معلمة التراث الجزائري بين القديم والحديث ، دار ثالة للنشر ، الجزائر ، 2007م ، 90/3 .

20) بوعنابي ، المختار . المصنفات اللغوية للأعلام الجزائريين عبر القرون ، مطبعة دار هومة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2001م ، ص : 106 .

21) الونشريسي ، محمد رفيق. الثمرات الحلية في شرح نظم الآجرومية ، تق : عبد الرحمن بن عوف كوني ، دار الإمام مالك ، أبو ظبي ، ط1 ، 1426هـ/2005م ، ص : 22 .

22) عماري ، عبد الله . محمد بن أب المزمري الجزائري التواتي وجهوده في النحو ، إشراف : أبو بكر حسيني ، جامعة ورقلة ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، 2010م ، ص : 42 .

) نفسه ، ص : 44 . [23]

) تاريخ الجزائر الثقافي : ج2 ، ص : 169 . [24]

) معجم أعلام الجزائر ، ص : 15 . [25]

) نفسه ، ص : 93 . [26]

) نفسه : ص : 50 . [27]

28) غويني ، عبد ربه بن ناجي . العربية شرفها القرآن ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 1 ، 1429 هـ/ 2008 م ، ص : 12 .

29) وهي مطبوعة ضمن كتاب : الكوكب الزهري نظم مختصر الأخضري : محمد باي بلعالم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط 1 ، 1431 هـ/ 2010 م ، ص : 39-52 .

) بلعالم ، محمد باي . قبيلة الفلان بين الماضي والحاضر ، دار هومة ، الجزائر ، د ط ، 2004م ، ص : 05 .[30]

31) قدي ، عبد المجيد . صفحات من تاريخ منطقة أولف ، أبحاث للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 2 ، 2007م ، ص : 112 .

32) أنظر: موقع الأنترنت ، مدونة عبد النور التاريخية ، فضيلة الشيخ محمد باي بلعالم بقلم تلميذه يحيى بدر الدين صاري .

) نفسه .[33]

) محمد بن أب وجهوده في النحو : ص : 19 .[34]

35) النظام النحوي العربي بين الخطاب الفلسفي والخطاب التعليمي : أحمد حساني . يُنظر: أعمال ندوة تيسير النحو ، ص : 387 .

) الإمتاع والمؤانسة : أبو حيان التوحيدي ، تح : أحمد أمين ، دار الفكر ، بيروت ، د ت ، ج 2 ، ص : 139 .[36]

) شكوي مدرسي النحو من مادة النحو : صالح بلعيد ، انظر: أعمال ندوة تيسير النحو ، ص : 318-326 .[37]

) انظر النظم في : الكوكب الزهري ، ص : 43 ، 45 ، 46 ، 47 ، 49 .[38]

39) الأنباري ، أبو البركات .الإنصاف في مسائل الخلاف ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1428هـ/2007م ، ج2 ، ص : 448 .

) بلعالم ، محمد باي . كفاية المنهوم في شرح اللؤلؤ المنظوم ، مطبعة عمار قرفي ، باتنة ، د ط ، د ت ، ص : 62 .[40]

) الإنصاف في مسائل الخلاف : ج1 ، ص : 38 .[41]